# أثر السلطة السياسية في ظهور الأقوال والمذاهب المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في التاريخ الإسلامي

أ. بيان عبد الرحمن العثماني*

سلم البحث في ١٤٤٢/١/٢٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٢/٢/٢٥هـ

**ملخص البحث:**

يتناول البحث أثر السلطة السياسية في ظهور الأقوال والمذاهب المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة خلال التاريخ الإسلامي، والطرق التي استخدمها الحُكام لنصرة المذاهب وظهورها، ويَعرض لذكر ثلاثة مذاهب: الأول المعتزلة من خلال القول بخلق القرآن، ثم المذهب الأشعري، وأخيراً المذهب الشيعي، ويختم بأهم النتائج.

**Abstract:**

The research deals with the impact of the political authority on the emergence of sayings and doctrines contrary to the method of the Sunnis and the community during Islamic history. And the methods used by rulers to support and emerge doctrines. It presents three doctrines, The first: Almu'tazela by saying the creation of the Koran, Second: Al-Ashari, And the last: Shiite doctrine, And concludes with the most important results.

**المقدمة:**

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فإن الدارس للفرق والمذاهب لا بد له من معرفة زمن نشأتها، وأصحابها، والعوامل التي ساعدت في ظهورها، فإن هذا جميعه مما يساعد على التصور الكامل والجيد للفرق أو المذاهب، إذ قد تظهر مقولات إحدى الفرق في الزمن الحاضر على لسان جماعة في مكان ما. ومن الطرق المساعدة في الرد على المقولات والاعتقادات أن يعرف المتصدي لها جذور هذا القول أو المعتقد، لذا كان من المهم معرفة أسس الأقوال والاعتقادات. وحين كان من طرق دراسة الفرق والمذاهب دراسة أسباب نشأتها، والعوامل المساعدة لها في الظهور، فقد تعددت الأسباب والعوامل واختلفت وتباينت في القوة والضعف، فمن عامل قويّ أولي في ظهور الفرقة أو المذهب إلى عامل ضعيف لكن له تأثير بشكل أو بآخر في ظهورها، والأسباب قد تعود إلى طبيعة المجتمع الذي تنشأ به الفرقة، أو لجهود العلماء والدعاة للفرقة في نشرها من إقامة الدروس، وتأليف الكتب وغير ذلك.

---

* باحثة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الملك عبد العزيز.

ويدرك دارس الفرق والمذاهب والقارئ المطلع عليها أن السلطة السياسة قد تؤدي دورا كبيرا في انتشار الفرق والمذاهب، وذلك أن بعض الحكام ينتصر لفرقته فيساعد في انتشارها بطرق ووسائل متعددة مستغلا سلطته السياسية في ذلك، والنماذج مبثوثة في كتب التاريخ، إلا إنه من المهم التنبيه على أمرين حتى يتبين القصد من هذه الدراسة:

**الأول:** أن الجذور التاريخية للفرقة أو المعتقد سابقة لوجود الحاكم أو السلطان، لا أن القول بها كان من قِبَل السلطان، ودور السلطان هنا نصرتها والمساعدة في نشرها، وهو المقصود في هذا البحث، إذ العقائد والفرق المذكورة في هذا البحث كان لها تاريخ سابق على وجود الحكام، إلا أن الحاكم كان ممن ينتمي لهذه الفرق فبذل وسعه في نشرها بين العامة.

**الثاني:** يعتقد بعض المفكرين أن القضايا العقدية والفرق والمذاهب خاضعة للمنطلق السياسي، ليس ذلك فحسب بل "يرون أن الفكر الإسلامي بجميع أطيافه كان ينطلق في بناء أصوله المعرفية ومواقفه العلمية من منطلقات سياسية لم يراع فيها المنطلق الديني أو المعرفي، فالآراء التي قررت فيه هي في حقيقتها آراء سياسية عُبر عنها بلغة دينية، وكذلك الحال في الفرق المنقسمة في الفكر الإسلامي هي في الحقيقة أحزاب سياسية تتصارع فيما بينها على السياسة، ولكنها غلبت الطابع الديني"[1]. ومن هذا المنطلق في التفسير السياسي انقسم المفكرون إلى قسمين:

**الأول:** يرى أن المبادئ العلمية والأصول المعرفية صيغت بناءً على ما يتوافق مع رغبة الحاكم، وما يلبي حاجته السلطوية.

**الثاني:** يرى أن بعض المبادئ العلمية والمناهج الفكرية صيغت بناءً على ما يخالف رغبة الحاكم، وما يساهم في هدم سلطته وتقلص نفوذه[2]. وليس المجال هنا للرد على أصحاب هذا القول وبيان خطئهم، فقد خصصت مؤلفات للرد على أمثال هذه الشبهات الباطلة، وبناءً على ما سبق فقد تبين القصد في هذا البحث الذي عُني بالكشف عن أثر السلطة السياسية للحاكم في المساهمة في نشر الأقوال والمذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة في التاريخ الإسلامي، وتسليط الضوء على بعض الأساليب التي استخدمها الحُكام في ذلك، فكان عنوان هذا البحث: "أثر السلطة السياسية في ظهور الأقوال والمذاهب المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في التاريخ الإسلامي".

**أهمية الموضوع:**

أولاً: تكمن أهمية الموضوع في أنه يمثل أحد أهم الأسباب في انتشار بعض الفرق

والمذاهب، فالعوامل التي ساهمت في انتشار الفرق متعددة كما سبق بيانه، فكان من الأهمية بمكان تسليط الضوء على السلطة السياسية كونها عاملا قويا في نشر الفرق والأقوال المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

ثانياً: حين كانت الدراسة تكشف أثر السلطة السياسية في نشر المذاهب، فهي من جانب آخر ترد على أصحاب مشروع التفسير السياسي الذي ينمتي إليه بعض المفكرين الذين يرون أن المذاهب والفرق إنما نشأت لأمرٍ سياسي فهي ما ظهرت إلا لتلبي حاجة السلطان.

ثالثاً: قلة الدراسات والبحوث التي تناولت العامل السياسي في انتشار الفرق والمذاهب، فكانت هذه الدراسة لاستكمال النقص.

**الدراسات السابقة:**

**أولاً:** جلّ الدراسات السابقة التي بحثت في الفرق والمذاهب كانت الدراسات فيها تصب من ناحيتين:

الأولى: دراسة الفرق والمذاهب بشكل عام، وذلك يتضمن أن يكون الحديث أولاً عن التعريف بالفرقة، ثم تاريخ نشأتها، وأبرز أصحابها.. وما إلى ذلك، ويكون الحديث عن أسباب انتشارها مجملاً غير مفصل، وهذا الغالب على كتب الفرق والمذاهب سواء أكانت لباحثين معاصرين أم متقدمين، من ذلك: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة للمؤلف: عبد القادر شيبة الحمد، وكذلك رسالة الباحثة: حورية المطيري، المقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "علم المذاهب المعاصرة: مفهومه، ونشأته، وجهود علماء المسلمين فيه".

الثانية: دراسة تعنى بالحديث عن فرقة أو مذهب معين، فتتناول جميع ما يتعلق بها، وهذه الدراسات كالتي سبقتها تتحدث عن أسباب الانتشار بشكل عام، فليست تعنى بالأثر السياسي فقط. وبعض الدراسات تعنى بالحديث مثلا عن محنة القول بخلق القرآن، إلا أنها تتحدث من ناحية تاريخية عقدية، فقد تتعرض للسبب السياسي في انتشارها، لكن الغرض فيها عام وليس خاصا بالأثر السياسي، كدراسة الباحث: علوش الدوسري، الموسومة بـ"محنة القول بخلق القرآن عند المتقدمين والمعاصرين دراسة تاريخية نقدية".

**ثانياً:** دراسات تعنى بالأثر السياسي ولكن من ناحية كون الفرق والمذاهب إنما نشأت لأسباب سياسية، فتتحدث عن الفرق والمذاهب من هذا المنطلق، من ذلك الدراسة التي قدمها الباحث: علي الفواز تحت عنوان: "أثر الصراعات السياسية في نشأة

الفرق وعقائدها الكلامية. عصر صدر الإسلام نموذجاً". وفي دراستي هذه سأذكر نماذج لبعض الحُكام الذين انتموا إلى أحد الفرق الإسلامية، ومساهمتهم في نشرها، والطرق التي استخدمت لأجل هذا الغرض مما كان سبباً في نشرها.

**خطة البحث:**

جاءت خطة البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وهي كالتالي:

**المقدمة:** وتحتوي على أهمية الموضوع والدراسات السابقة.

**المبحث الأول: أثر السلطة السياسية في ظهور القول بخلق القرآن.**

**المبحث الثاني: أثر السلطة السياسية في انتشار المذهب الأشعري.**

**المبحث الثالث: أثر السلطة السياسية في انتشار المذهب الشيعي.**

**الخاتمة:** وتحوي أبرز النتائج.

## المبحث الأول
## أثر السلطة السياسية في ظهور القول بخلق القرآن

لم يشهد عصر النبوة أقوالا أو فرقا مخالفة؛ فقد كانت العقيدة الإسلامية الصحيحة تستقى من القرآن والسنة، "وكان الخلاف في زمن الرسول ﷺ ينتهي فور وصوله إلى الرسول حين يحكم فيه، وبعد وفاته وحتى آخر عصر الخلفاء الراشدين كان المسلمون على منهج واحد في أصول الدين وفروعه"[٣]، وفي أصول المنهج والمسائل العلمية الكبرى، فلا تكاد تجد بينهم فرقا"[٤].

وقد يلحظ القارئ لتاريخ عصر الصحابة بعض الأمور التي كانت محل خلاف بينهم بعد وفاة النبي ﷺ، إلا أن تلك الخلافات لم تكن في مسائل العقيدة وأصول الدين، بل كانت اختلافات يسيرة سرعان ما تم حلها من قبل كبار الصحابة، وقد ذكر البغدادي في كتابه: "الفرق بين الفرق" بعض تلك الخلافات، فقال: وأول خلاف وقع منهم اختلافهم في موت النبي ﷺ، فزعم قوم منهم أنه لم يمت، وإنما أراد الله رفعه كعيسى عليه السلام، ثم رفع الخلاف وأقرّ الجميع بموته، ثم اختلفوا في موضع دفنه... إلى أن قال: "وهم في أثناء ذلك كله على كلمة واحدة في أبواب العدل والتوحيد، والوعد والوعيد، وفي سائر أصول الدين، وإنما كانوا يختلفون في فروع الفقه...، كانوا على هذا في أيام أبي بكر، وعمر، وست سنين من خلافة عثمان رضي الله عنهم"[٥].

وقال الأشعري في "مقالات الإسلاميين": كان الاختلاف بعد الرسول ﷺ في الإمامة، ولم يحدث خلاف غيره في حياة أبي بكر رضي الله عنه، وأيام عمر، إلى أن وُلّيَ

عثمان بن عفان ﷺ ثم قُتل وكانوا في قتله مختلفين[٦]. ثم ما لبث المسلمون أن تفرق أمرهم، وظهرت الأقوال والفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وقد كثر حديث الباحثين حول بداية ظهور الفرق أو المقالات المخالفة، فمن قائل أن نواتها كانت في عصر النبوة، ثم تلاشت ولم يكن لها أثرٌ إثر وجود النبي ﷺ، وقد رُدَّ على أصحابها وبُيِّن خطؤهم، وآخرون يرون أنما برزت بعد مقتل عثمان ﷺ[٧]، وليس القصد هنا تتبع تاريخ عصر الصحابة وتاريخ ظهور الأقوال والفرق المخالفة لمنهج السلف الصالح، إنما القصد أن يتضح أن السمة الظاهرة في عصريّ النبوة والصحابة هي اجتماعهم على نهج واحد، وهو العمل بالكتاب والسنة، وعدم تفرقهم في مسائل أصول الدين.

إلى أن أتى عصر الدولة العباسية التي يثار حول بداية أمرها العديد من الروايات التاريخية[٨]، إلا أن المهم في هذا المبحث هو الحديث عن فترة زمنية محددة، وهي التي بين عاميّ ١٩٨هـ – ٢٢٧هـ تبنى فيها الخلفاء المتعاقبون خلال هذه المدة مقالة مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، ولم أقف خلال قراءتي لكتب التاريخ على خليفة للمسلمين قد تبنى قولا عقديا مخالفا وألزم الأمة به قبل أن يحدث هذا في الدولة العباسية. قال البيهقي: "ولم يكن في الخلفاء قبله – أي الخليفة العباسي المأمون– من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم"[٩].

وقد حدثت فتنة عظيمة ابتليت فيها الأمة أجمع خلال هذه الفترة من عمر الأمة الإسلامية، وللحديث عن تفاصيل هذه الفتنة لا بد من معرفة أحوال الخليفة آنذاك، والظروف التي دعته لتبني هذا القول، وحين كان أول من تبنى مقالة خلق القرآن من خلفاء الدولة العباسية ودعا إليها هو الخليفة المأمون، كان لا بد من الحديث عن ثلاثة أمور حتى يتم تصور المسألة بشكل جيد.

**الأمر الأول: عصر أبي جعفر عبد الله المأمون:** وهو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد القرشي الهاشمي، ولّاه والده العهد وهو في سن الثالثة عشرة من عمره، وبويع له بالخلافة في عام ١٩٨هـ. قال عنه ابن كثير: "تولى المأمون الخلافة في المحرم لخمس بقين منه بعد مقتل أخيه –الأمين– سنة ثمان وتسعين ومائة، واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر، وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة، وقد بايع في سنة إحدى ومائتين بولاية العهد من بعده لعلي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وخلع السواد ولبس الخضرة، فأعظم ذلك العباسيون من البغداديين وغيرهم، وخلعوا المأمون وولوا عليهم إبراهيم بن المهدي، ثم ظفر المأمون

بهم واستقام له الحال في الخلافة، وكان على مذهب الاعتزال لأنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غياث المريسي، فخدعوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل"[١٠].

يلحظ من هذا أن سياسة المأمون جمعت بين المواقف المتناقضة التي يصعب التوفيق بينها، فكان يميل إلى الفرس تارة، ثم إلى العلويين تارة أخرى، ثم يميل إلى أهل السنة والجماعة تارة ثالثة، قال المسعودي:" وكان المأمون يظهر التشيع"، كما قال في موضع آخر: "ووصل إلى المأمون أبو الحسن علي بن موسى الرضا، وهو بمدينة مرو، فأنزله المأمون أحسن إنزال، وأمر المأمون بجميع خواص الأولياء، وأخبرهم أنه نظر في ولد العباس، وولد علي ﷺ، فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا، فبايع له بولاية العهد، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، وزوّج محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته أم الفضل، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام، وأظهر بدلا من ذلك الخضرة في اللباس والأعلام وغير ذلك"[١١].

كان المجتمع العباسي مزيجاً من حضارات وأعراف وأجناس متعددة، إضافة إلى تعدد المذاهب والفرق، فثمة أناس تبنوا المذهب الشيعي وآخرون المذهب الاعتزالي، وكلاهما يعود لجذور تاريخية سابقة للدولة العباسية؛ لذلك شهد القصر العباسي منذ عهد الرشيد المناقشات والمناظرات الفكرية والسياسية لأهل الكلام من المعتزلة والشيعة شملت مواضع متعددة من أهمها موضوع الإمامة، وقد حصل تقارب بين المذهبين المعتزلي والشيعي نتيجة نظرتهما المشتركة لموضوعي الخلافة وخلق القرآن[١٢]، مع الأخذ بالاعتبار أن المعتزلة ليست على قول واحد في موضوع الإمامة، فمنهم من يرى وجوب الإمامة عن طريق الشرع[١٣] –وهم الأكثر– ومنهم من يوجبها عقلا، والموجبون لها عقلاً منهم من يوجبها على الله –تعالى– وهم الشيعة، ومنهم من يوجبها على الناس وهم المعتزلة البغداديون[١٤]، يضاف إلى ذلك كون المأمون تربى في بيئة فارسية بفعل هوية والدته الفارسية، فقد أثرت تلك العوامل وغيرها في تكوين المأمون الديني والفكري.

**الأمر الثاني تاريخ القول بخلق القرآن:** لم يكن القول بهذه المقالة المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة قد قال به المأمون أول الأمر، بل ثمة جذور لها تمتد إلى الجعد ابن درهم، بل إن الدارمي جعل جذورها إلى الوليد بن المغيرة، فقال في باب الاحتجاج للقرآن أنه غير مخلوق:" فمن ذلك، ما أخبر الله –تعالى– في كتابه عن زعيم هؤلاء الأكبر وإمامهم الأكفر، الذي ادّعى أولاً أنه مخلوق، وهو الوحيد، واسمه الوليد بن

المغيرة، فأخبر الله عن الكافر دعواه فيه، ثم أنكر عليه دعواه، وردّها عليه، ووعده النار أن ادّعى أن قول الله قول بشر، وقوله: إن هذا إلا قول البشر، وقول هؤلاء الجهمية هو مخلوق، واحد، لا فرق بينهما، فبئس التابع والمتبوع".

وغالب العلماء والباحثين ممن كتب في تاريخ الفرق والمذاهب نسب المقالة إلى الجعد بن درهم، من ذلك قول ابن الأثير في تاريخه في أحداث سنة أربعين ومائتين: " وفيها توفي القاضي عبد الله أحمد بن أبي دؤاد وكان داعية إلى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة وأخذ ذلك عن بشر المريسي، وأخذ بشر من الجهم بن صفوان، وأخذه عن الجعد بن درهم، وأخذه الجعد من أبان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت بن أخت لبيد الأعصم، وأخذه طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي، فقد كان لبيد يقول بخلق التوراة"[١٥].

يظهر هنا أن أصل المقالة أخذت عن اليهود وتحديدا عن لبيد بن الأعصم، لكنها حين نقلت إلى الإسلام تبناها الجعد بن درهم، هذا من حيث الأصل، وأما عمن قال بها في العصر العباسي، فقد كان بشر المريسي كما تذكر المصادر. قال ابن الجوزي ﷺ:" لم يزل الناس على قانون السلف وقولهم: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، حتى نبغت المعتزلة فقالت بخلق القرآن، وكانت تستر ذلك، وكان القانون محفوظا في زمن الرشيد، قال محمد بن نوح: سمعت هارون أمير المؤمنين يقول: بلغني أن بشرا المريسي زعم أن القرآن مخلوق، ولله عليّ إن أظفرني به لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحداً قط. وقال المسعودي قاضي بغداد: سمعت هارون الرشيد يقول: بلغني أن بشر بن غياث يقول: القرآن مخلوق، ولله عليّ إن أظفرني به لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحداً. قال الإمام أحمد: فكان بشر متوارياً أيام هارون نحواً من عشرين سنة حتى مات هارون، فظهر ودعا إلى الضلالة، وكان من المحنة ما كان". قال ابن الجوزي:" فلما توفي الرشيد كان الأمر كذلك في زمن الأمين، فلما وليّ المأمون خالطه قوم من المعتزلة، فحسنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد في حمل الناس على ذلك، ويراقب بقايا الأشياخ، ثم قوي عزمه على ذلك فحمل الناس عليه"[١٦].

يتضح من ذلك أن الخلفاء الأوائل للدولة العباسية – قبل المأمون– كانوا يتبعون منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، وأن أول من خالف منهم كان المأمون، فقد تبنى قول المعتزلة، وحمل الناس على ذلك أيضاً.

**الأمر الثالث: أثر تبنى الخليفة المأمون لقول المعتزلة** في هذه المسألة على العلماء وأهل الحديث. تأثر المأمون بالبيئة الاعتزالية المحيطة به كما سبق ذكره، لكن تذكر

كتب التاريخ الشخصية الأكثر تأثيراً –إن صحت العبارة– على المأمون وهو القاضي أحمد بن أبي دؤاد، قال عنه المرزباني في كتابه المرشد في أخبار المتكلمين: نشأ أحمد في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ، وصحب هياج بن العلاء السلمي، وكان من أصحاب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال"[١٧].

وقال ابن كثير في تاريخه: "قال الخطيب: ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة"[١٨].

كان أبو دؤاد معتزليًّا يقول بخلق القرآن، فتأثر المأمون بمقالته، فأظهر القول بذلك، إلا أنه في بداية الأمر قد أظهر تردداً إثر وجود يزيد بن هارون، فليزيد مكانة عالية في العلم والفقه، وقد أثنى عليه العديد من العلماء، كما كان رأساً في السُنة معادياً للجهمية، منكراً لأقوالهم[١٩].

نقل ابن الجوزي عن الإمام أحمد في كتابه "مناقب الإمام أحمد" قوله: "حدثني ابن أكتم، قال: قال لنا المأمون: لولا مكانة يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق، فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين ومن يزيد حتى يكون يُتقى؟! قال: ويحك! إني أخاف إن أظهرته فيردّ عليّ، فيختلف الناس وتكون فتنة، وأنا أكره الفتنة، قال: فقال الرجل: فأنا أخبر ذلك منه، فقال له: نعم، فخرج إلى واسط، فجاء إلى يزيد، فدخل عليه المسجد وجلس إليه، فقال: يا أبا خالد إن أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول لك: إني أريد أن أظهر أن القرآن مخلوق، قال: فقال: كذبت على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على مالا يعرفونه.."[٢٠].

ثم ما لبث المأمون أن أظهر القول بهذه المقالة الباطلة، وكان ذلك في سنة ثمان عشرة ومائتين، وذلك بعد موت يزيد بن هارون. جاء في كتاب ذم الكلام عن عبد الوهاب بن الحكم قال: كان المأمون يسأل عن يزيد بن هارون يقول: ما مات؟!، وما امتحن الناس حتى مات يزيد[٢١]. فما أن مات حتى أظهر المأمون هذه المقالة، وحمل المجتمع العباسي –خاصةً العلماء منهم– على القول بها، وذلك أنه كتب إلى نائبه ببغداد يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن وأن يرسل إليه جماعة منهم، فكتب إليه كتابا مطولا في ذلك، مضمونه الاحتجاج على أن القرآن محدث، وكل محدث مخلوق[٢٢].

شهد علماء المجتمع العباسي ومحدثوه هذه السنة والسنوات التي وليّ فيها

المعتصم ثم الواثق من بعده– وقد تأثرا هما أيضا بالمعتزلة، وكان لابن أبي دؤاد تأثيره عليهما– أصنافاً من ألوان العذاب والابتلاء، وعفي من لم يجب منهم السلطان لما ذهب إليه من عمله، وحدثت فتنة عظيمة والله المستعان.

قال ابن الأثير في تاريخه: في هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد في امتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن، فمن أقر منهم أنه مخلوق محدث خلّى سبيله، ومن أبى أعلمه به ليأمره فيه برأيه، وطول كتابه بإقامة الدليل على خلق القرآن وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك، وكان الكتاب في ربيع الأول، وأمره بإنفاذ سبع نفر، فأشخصوا إليه، فسألهم وامتحنهم عن القرآن فأجابوا جميعاً أن القرآن مخلوق، فأعادهم إلى بغداد، فأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره وشهر قولهم بحضرة المشايخ من أهل الحديث فأقروا بذلك فخلّى سبيلهم، وورد كتاب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم بامتحان القضاة والفقهاء[٢٣].

إن أول ما يتبادر إلى الذهن في هذه المسألة تحديداً هو الإمام أحمد بن حنبل وما تعرض له من سجن وتعذيب إثر معارضته للسلطان في القول بهذه المقالة الباطلة –رغم أنه لم يكن الوحيد من العلماء الذي عذب وسجن، بل ثمة عدد كبير من العلماء تعرضوا لأشد مما تعرض له الإمام أحمد–، يقول صالح بن أحمد بن حنبل: "سمعت أبى يقول: لما أُدخلنا على إسحاق بن إبراهيم للمحنة، قرئ علينا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو خالق كل شيء، قلت: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِير﴾.

قال صالح: ثم امتحن القوم، فوجّه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القوم جميعاً غير أربعة: أبي، ومحمد بن نوح، وعبيد الله بن عمر القواريري، والحسن بن حماد، سجّادة، ثم أجاب عبيد الله بن عمر، والحسن بن حماد، وبقي أبي ومحمد بن نوح في الحبس، فمكثا أياماً في الحبس، ثم ورد كتاب من طرطوس بحملهما، فحملا مقيدين زميلين"[٢٤].

قال ابن خلكان: ودعي إلى القول بخلق القرآن –أي الإمام أحمد بن حنبل– أيام المعتصم وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فقال أحمد: أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا، فأحضر له الفقهاء والقضاء فناظروه.. فلم يجب، فضرب وحبس وهو مصرّ على الامتناع، وكان ضربه في العشر الأخير من رمضان، سنة عشرين ومائتين، وكانت مدة حبسه إلى أن أُخلي عنه ثمانية وعشرين يوماً، وبقي إلى أن مات المعتصم، فلما وليَ الواثق منعه من الخروج من داره إلى أن أخرجه المتوكل وخلع عليه وأكرمه ورفع عنه المحنة في خلق القرآن"[٢٥].

وهكذا استمر المأمون بامتحان العلماء، فمن أجابه منهم أكرمه وخلّى سبيله، ومن أبى فقد حكم على نفسه بالعذاب والحبس أو الموت، فقد جاء رجل إلى الإمام أحمد بن حنبل، فقال: يعز عليّ يا أبا عبد الله أن المأمون قد سلّ سيفا لم يسلّه قبل ذلك، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف"[٢٦].

ورغم ما لاقاه الإمام أحمد خلال هذه السنوات في حكم الخلفاء الثلاث إلا أنه ﷺ صبر وثبت على قول الحق، ولم يجبهم في مخالفة صريح الأدلة من القرآن والسنة، ولم يكن الإمام أحمد الوحيد من العلماء الذي تعرض للمحنة في هذا القول، بل وردت في كتب التاريخ العديد من النماذج لعلماء ثبتوا على الحق رغم ما تعرضوا له من العذاب والامتحان، من أبرزهم: الإمام أحمد بن نصر الخزاعي –رحمه الله وأكرم مثواه– ورغم طول قصته التي ذكرها ابن تيمية إلا أنه من المهم جداً ذكرها، إذ إنها تعد من أكثر الحوادث دلالة على أثر سياسة السلطان في ظهور المعتقدات المخالفة، فللسلطان سياسات شتى منها: منع العلماء من الإفتاء والتدريس –كما ذُكر سابقا–، ومنها الإرهاب والتخويف الذي قد يصل للقتل كما في حادثة الإمام أحمد بن نصر.

قال ابن كثير: وفيها –أي في سنة إحدى وثلاثين ومائتين– كان مقتل أحمد بن نصر الخزاعي –رحمه الله، وأكرم مثواه–، وكان أحمد بن نصر هذا من أهل العلم والديانة والعمل الصالح والاجتهاد في الخير، وكان من أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وكان الواثق من أشد الناس في القول بخلق القرآن، يدعو إليه ليلا ونهارا، سرا وجهارا، اعتمادا على ما كان عليه أبوه قبله وعمه المأمون، من غير دليل ولا برهان، ولا حجة ولا بيان، ولا سنة ولا قرآن .

فقام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وأشياء كثيرة دعا الناس إليها، فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد، والتف عليه من الألوف أعداد...فلما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخزاعي في السرّ على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج على السلطان؛ لبدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن، ولما هو عليه وأمراؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها...فتواعدوا على أنهم في الليلة الثالثة من شعبان –وهي ليلة الجمعة– يضرب

طبل في الليل فيجتمع الذين بايعوا في مكان اتفقوا عليه، وأنفق طالب وأبو هارون في أصحابه ديناراً دينارا، وكان من جملة من أعطوه رجلان من بني أشرس، وكانا يتعاطيان الشراب.

فلما كانت ليلة الخميس شربا في قوم من أصحابهم واعتقدا أن تلك الليلة هي ليلة الوعد، وكان ذلك قبله بليلة، فقاما يضربان على طبل في الليل ليجتمع إليهما الناس، فلم يجئ أحد وانخرم النظام وسمع الحرس في الليل فأعلموا نائب السلطنة.. فأصبح الناس متخبطين، واجتهد نائب السلطنة على إحضار ذينك الرجلين فأُحضرا، فعاقبهما فأقرا على أحمد بن نصر، فطلبه وأخذ خادما له فاستقره فأقر بما أقر به الرجلان، فجمع جماعة من رؤوس أصحاب أحمد بن نصر معه وأرسل بهم إلى الخليفة.. فأحضر له جماعة من الأعيان، وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي، وأحضر أحمد بن نصر ولم يظهر منه على أحمد بن نصر عتب، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الواثق لم يعاتبه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره، بل أعرض عن ذلك كله وقال له: ما تقول في القرآن؟، فقال: هو كلام الله، قال: أمخلوق هو؟، قال: هو كلام الله، فقال له: فما تقول في ربك، أتراه يوم القيامة؟، فقال: يا أمير المؤمنين! قد جاء القرآن والأخبار بذلك، قال الله –تعالى–: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. وقال رسول الله ﷺ: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»، فنحن على الخبر، قال الواثق: ويحك! أيُرى كما يُرى المحدود المتجسم؟ ويحويه مكان ويحصره الناظر؟ أنا أكفر بربٍّ هذه صفته، قلت: وما قاله الواثق لا يجوز ولا يلزم ولا يرد به هذا الخبر الصحيح، والله أعلم، ثم قال أحمد بن نصر للواثق: وحدثني سفيان بحديث يرفعه: "إن قلب ابن آدم بأصبعين من أصابع الله يقلبه كيف شاء"[٢٧]، وكان النبي ﷺ يقول: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك". فقال له إسحاق بن إبراهيم: ويحك! انظر ما تقول. فقال: أنت أمرتني بذلك. فأشفق إسحاق من ذلك وقال: أنا أمرتك؟، قال: نعم! أنت أمرتني أن أنصح له. فقال الواثق لمن حوله: ما تقولون في هذا الرجل؟، فأكثروا القول فيه، فقال عبد الرحمن بن إسحاق: يا أمير المؤمنين هو حلال الدم، وقال أبو عبد الله الأرمني صاحب أحمد بن أبي دؤاد: اسقني دمه يا أمير المؤمنين، فقال الواثق: لابد أن يأتي ما تريد، وقال ابن أبي دؤاد: هو كافر يستتاب لعلّ به عاهة أو نقص عقل. فقال الواثق: إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومن أحد معي، فإني أحتسب خطاي، ثم نهض إليه بالصمصامة –وقد كانت سيفا لعمرو بن

معد يكرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته، وكانت صفيحة مسحورة في أسفلها مسمورة بمسامير – فلما انتهى إليه ضربه بها على عاتقه وهو مربوط بحبل قد أوقف على نطع، ثم ضربه أخرى على رأسه ثم طعنه بالصمصامة في بطنه فسقط صريعا ﷺ على النطع ميتا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله وعفا عنه."[٢٨]

وليس المجال هنا يتسع لذكر جميع العلماء في هذه المرحلة، وإنما القصد هو التمثيل فقط. ولم تكن المحنة في بغداد وحدها، بل قد وصلت إلى مصر والقيروان وغيرهما من دول العالم الإسلامي، إذ لم يكونوا بمعزل عن الأحداث السياسية والفكرية التي كانت تحدث في أرض بغداد، فقد أُرسلت إلى والي مصر نسخة من الكتاب الذي أرسله الخليفة إلى إبراهيم بن إسحاق، فأمر الوالي بأخذ الناس ولا سيما العلماء بالمحنة، من أقرّ منهم بأن القرآن مخلوق استمر في عمله، ومن امتنع عن القول بذلك عزل عن الحكم والقضاء، فضلا عن التأكيد على منع أهل الحديث والفقهاء من التحديث للناس، ويستثنى من استجاب منهم للقول بخلق القرآن[٢٩].

وممن امتحن من علماء مصر: القاضي الحارث بن مسكين بن محمد المصري، كان من علماء الحديث ولم يجب السلطان بالقول بهذه المقالة الباطلة، فحمل من مصر إلى بغداد وحبس فيها إلى أن ولي المتوكل فأطلقه[٣٠]. ومنهم: نعيم ابن حماد أحد أبرز فقهاء مصر وأول من جمع المسند، قال أبو بكر الطرسوسي: أخذ نعيم بن حماد في أيام المحنة سنة ثلاث أو أربع وعشرين ومائتين، وألقوه في السجن، ومات في سنة تسع وعشرين ومائتين، وأوصى أن يدفن في قيوده. وقال محمد بن سعد: طلب نعيم الحديث كثيرا بالعراق والحجاز، ثم نزل مصر، فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة أبي إسحاق –يعني المعتصم– فسئل عن القرآن، فأبى أن يجيب فيه بشيء مما أرادوه عليه فحبس بسامراء، فلم يزل محبوسا بها حتى مات في السجن سنة ثمان وعشرين ومائتين[٣١].

ولا يختلف حال علماء قيروان عن علماء الأمصار الأخرى في العالم الإسلامي آنذاك، فحين حدثت المحنة في بغداد، دعا إليها بعض أمراء قيروان، وكتبوا السجلات بذلك وقرئت على المنابر، وامتحن بسببها كبار علماء القيروان، وكانت المحنة سبباً في اختفاء كثير من علمائها، ومنعهم من التدريس والإفتاء، ومن أبرز هؤلاء العلماء الإمام سحنون المالكي، فقد جيء به إلى ابن الأغلب فجمع له القواد والوزراء والقاضي ابن أبي الجواد – وهو حنفي أظهر الاعتزال– فقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال سحنون: أصلح الله الأمير أمّا شيء أبدأ به من نفسي فلا، ولكن الذي

سمعت ممن تعلمت منه وأخذت ديني عنه، فهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فقال ابن أبي الجواد: إنه قد كفر فاقتله ودمه في عنقي، وقال مثل ذلك نصر بن حمزة القائد وغيره، فقال لداود بن حمزة: ما تقول ياداود؟ فقال: أصلح الله الأمير، قتله بالسيف راحة له، ولكن اقتله قتل الحياة: يؤخذ عليه الحملاء –أي الكفلاء– وينادى عليه بسماط القيروان ألا يفتي ولا يسمع أحداً ويلزم داره، ففعل ذلك أبو جعفر[٣٢].

## المبحث الثاني
## أثر السلطة السياسية في انتشار المذهب الأشعري

ضعف أمر الخلافة العباسية بعد عدة قرون من نشأتها، وتكالبت عليها جيوش الحملات الصليبية، إضافة إلى القلاقل والفتن التي كانت تحدث على أرضها، ومن أبرز معالم فترة الضعف التي مرت بها الدولة العباسية ظهور دويلات متفرقة في أنحاء العالم الإسلامي، ومن سنن الله في الكون أن يستخلف قوماً بآخرين، فما أن أفل نجم العباسيين وضعُف خلفاؤهم عن إدارة البلاد حتى ظهرت عدة دويلات حكمت مناطق متفرقة من العالم الإسلامي، كان منها: الدولة السلجوقية، والزنكية، وكذلك الأيوبية. وبرز نجم الدولة الأيوبية، وقد كان الشرق الأدنى الإسلامي قد قطع مرحلة متقدمة في طريق الوحدة السياسية قبيل تأسيس الدولة الأيوبية، وذلك بفضل الجهود التي بذلها كلٌّ من عماد الزنكي وابنه نور الدين محمود[٣٣]، فكانت الدولة الأيوبية امتدادا للدولة الزنكية التي أسسها عماد الزنكي.

كان أكبر خطر يواجه المسلمين في هذه المرحلة التاريخية: الحملات الصليبية، وقد مرّ الصراع الإسلامي– الصليبي حول مصر بثلاث مراحل زمنية ابتداءً من عام ٥٥٨هـ وحتى ٥٦٤هـ نتج عنها:

- وضع نور الدين محمود يده على مصر.
- خروج الصليبيين نهائياً منها.
- بروز صلاح الدين الأيوبي على مسرح الأحداث السياسية[٣٤].

وقد كتب الله لهذه الدويلات الظهور في تاريخ الأمة الإسلامية، ونصر ببعضهم الإسلام والمسلمين، وأذل بهم الكفار، كما أن لبعضهم مواقف مشرفة في نصر السنة وأهلها وقمع البدعة، إلا أنه كان بعض سلاطين هذه الدول –كما سيتضح– ناصراً للمذهب الأشعري، مؤيداً له، وذلك من خلال إنشاء المدارس التي تدرس فيها عقيدة الأشاعرة، وأيضاً احتفائهم بعلماء المذهب وتقربهم منهم، ولا يخفى

على القارئ أن من أهم أسباب انشار المذاهب وشيوعها –أو حتى الأفكار والأقوال– نصرة السلاطين لها واعتقادهم بها، لذا فقد عُدّ هذا السبب –أي نصرة السلاطين– من أسباب انتشار المذهب الأشعري عند بعض الباحثين[٣٥].

فللسلطة السياسية أثرٌ في انتشار معتقد الأشاعرة في مصر وغيرها، تمثل هذا الأثر في أمرين:

**الأمر الأول: بناء المدارس التي يدرس فيها مذهب الأشاعرة**، وبالتالي حمل الناس على الاعتقاد به، من ذلك:

١– المدارس النظامية: بناها الوزير نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق، وقد عرف عن نظام الملك حبه للعلم وأهله، فكان مجلسه عامراً بالفقهاء وأئمة المسلمين، قال عنه ابن الجوزي: "كان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري وأبو المعالي الجويني –وهما من أعلام المذهب الأشعري– يقوم لهما ويجلسهما في مسند ويجلس المسند على حالته"[٣٦]، وقارئ التاريخ يجد لنظام الدين أثراً مهماً وعظيماً في حرب الحركات الباطنية والإسماعيلية، إلا أنه كان معظماً لأعلام الصوفية والأشعرية[٣٧].

ذكر بعض المؤرخين أن المدارس النظامية هي أول مدارس أنشئت في الإسلام، فقال ابن خلكان: وهو –أي نظام الملك– أول من أنشأ المدارس فاقتدى الناس به"[٣٨]، إلا أن لبعض الباحثين رأي مخالف في ذلك، إذ يرون أن المدارس قد ظهرت في التاريخ الإسلامي قبل نظام الملك[٣٩]. وليس المهم هنا أي المدارس أنشئت أولاً في الإسلام فذلك قد ذكره الباحثون وصنفت فيه الكتب وأجريت لأجله الأبحاث، إنما المهم هنا هو دور المدارس النظامية في نشر العقيدة الأشعرية.

عدّ الباحثون المدارس النظامية ضمن أسباب انتشار المذهب، إذ إن نظام الملك قد أسند التدريس فيها لعلماء الأشاعرة، فكانوا يدرسون أصول العقيدة الأشعرية، وقد جعل نظام الملك هذه المدارس مع أوقافها وقفاً على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً[٤٠]. أعطت هذه المدارس دفعة قوية للمذهب الأشعري، فقد أمكن لهذا المذهب أن يُعلّم رسميًّا، وأن تنفق الدولة على تعليمه، وتتولى رعايته، كما أمكن لعلماء هذا المذهب أن يكونوا أساتذة في المؤسسات الفكرية[٤١]، وهذا لا شك أنه سببٌ مهم لانتشار المذهب خاصة وأن المدارس قد كانت لها فروع في عدة مدن.

٢– المدارس النورية: تنسب إلى نور الدين محمود زنكي، قال عنه ابن الأثير: وقد طالعت سيرة الملوك المتقدمين فلم أرَ فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته، ولا أكثر تحرياً للعدل منه"[٤٢]. كان من آثاره أن أنشأ عددا من

الجوامع والمدارس، ذكر ابن خلكان في ترجمته عددا من تلك المدارس والجوامع فقال: "بنى المدارس في جميع بلاد الشام الكبار مثل دمشق وحلب وحماة وحمص وبعلبك ومنبج والرحبة، وبنى بمدينة الموصل الجامع النوري ورتب له ما يكفيه، وبحماة الجامع الذي على نهر العاصي، وجامع الرها وجامع منبج، وبيمارستان دمشق، ودار الحديث بها أيضاً"[٤٣]. فمن أهم المدارس التي أنشأها الملك نور الدين محمود: مدرسة دار الحديث في دمشق، وقد أوكل مشيختها إلى ابن عساكر صاحب كتاب "تاريخ دمشق"، كما أنشأ مدرسة للحنفية وهي المدرسة "الحلاوية"، وأسند التدريس فيها إلى برهان الدين أبي الحسن البلخي، وكذلك أنشأ مدرسة للشافعية وهي المدرسة النّفرية النورية، وتولى التدريس فيها قطب الدين مسعود النيسابوري. ويلاحظ أن الأساتذة الذين أسند لهم نور الدين مهمة التدريس في هذه المدارس جميعهم ممن يعتقد بعقيدة الأشاعرة، فعلى سبيل المثال لم يكن اختيار النيسابوري لتولي الأستاذية في إحدى هذه المدارس من قبيل المصادفة، فالنيسابوري له قدم راسخة في علم الكلام[٤٤].

قامت هذه المدارس بدور كبير في نشر العقيدة الأشعرية فقد كان الأساتذة –كما سبق بيانه– ممن يعتقدون بهذا المذهب، إلا أن هذه المدارس من الجانب الآخر قد كان لها أثر عظيم في مقاومة التيار الباطني الإسماعيلي، ومعلوم أن من أعظم آثار نور الدين وصلاح الدين القضاء على الدولة الفاطمية الباطنية في مصر[٤٥].

٣– المدارس التي بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي: ومما ينبغي العلم به أن السلطان صلاح الدين كان يعتقد بعقيدة الأشاعرة، وحمل الناس على القول بها، قال المقريزي: وأما العقائد فإن السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن بن علي الأشعري، وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر، كالمدرسة الناصرية التي بجوار قبر الإمام الشافعي من القرافة، والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفية بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر، والمدرسة المعروفة بالقحمية بمصر"[٤٦].

وللسلطان محاسن جمة، لا سيما جهاده ضد الصليبيين، وسيرته مشهورة طبقت الآفاق لما له من الأيادي البيض على الإسلام وأهله[٤٧]، إلا أنه ﷺ كان على المذهب الأشعري. يقول المقريزي: فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى الماراني على هذا المذهب –أي الأشعري–، نشآ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق، وحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي

مسعود بن محمد النيسابوري، وصار يحفظها صغار أولاده، فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على المذهب الأشعري، وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه، فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك.[٤٨] وقد ألف قطب الدين مسعود للسلطان صلاح الدين عقيدة[٤٩]، وتبين فيما سبق أن قطب الدين كان أشعرياً، كما ألف فخر الدين الرازي كتابه المشهور تأسيس التقديس لأخي السلطان صلاح الدين الملك العادل محمد بن أيوب[٥٠].

يتضح مما سبق الأثر الواضح للسلطة السياسية في انتشار المذهب الأشعري من خلال التقرب إلى العلماء، وعقد المجالس والدروس لهم، إضافة إلى إنشاء المدارس ليتولى التدريس فيها علماء هذا المذهب.

**الأمر الثاني: تأليف الكتب وإقامة الدروس والمحاضرات.** كان من الدويلات التي نشأت أثناء ضعف الخلافة العباسية: دولة الموحدين التي أقامها المهدي بن تومرت في بلاد المغرب، وقد عد الباحثون ما قام به ابن تومرت في المغرب من أسباب انتشار المذهب الأشعري. قال الذهبي عن ابن تومرت: "الشيخ الإمام، الفقيه الأصولي الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي الهرغي، الخارج بالمغرب، المدعي أنه علوي حسني، وأنه الإمام المعصوم المهدي، كان لهجا بعلم الكلام، خائضا في مزال الأقدام، ألف عقيدة لقبها بالمرشدة، فيها توحيد وخير بانحراف فحمل عليها أتباعه، وسماهم الموحدين، ونبز من خالف المرشدة بالتجسيم، وأباح دمه، نعوذ بالله من الغي والهوى"[٥١].

وقال ابن خلدون: "طعن المهدي على أهل المغرب، وحملهم على القول بالتأويل والقول بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، وأعلن بإمامتهم ووجوب تقليدهم".

وإن كان بعض الباحثين قد أخذ على ابن خلدون قوله هذا، إذ إن ابن تومرت لم يعتقد هو نفسه بكافة ما اعتقده الأشاعرة، بل كانت عقيدته فيها مما يقوله الأشاعرة فلم يكن أشعرياً خالصاً بل كان يأخذ بجملة من آرائها ويدع الآراء الأخرى، فكيف يلزم قومه بالاعتقاد بمذهب الأشاعرة كافة[٥٢]!

ومما يحسن معرفته أن ابن تومرت كان قد تلقّى تعليمه على يد عدد من العلماء في عدد من البلدان، كان منهم الصوفي، والأشعري، فعلى سبيل المثال رحل إلى قرطبة، فدرس بعض أصول المذهب الظاهري "لابن حزم الأندلسي" على يد أبي جعفر حمدين بن محمد بن حمدين، وهنا يتأثر بهذا المذهب ويأخذ به خاصة في الفقه وبعض المسائل التشريعية، ثم توجه إلى الإسكندرية حيث تتلمذ فيها على يد "أبي بكر

الطرطوشي" الأندلسي الأصل والمالكي المذهب، تعلّم منه أصول الفقه والجدل، وبعض الأفكار الفلسفية والصوفية، ورغم تنقل ابن تومرت بين البلدان وأخذه عن علمائها إلا أن "بغداد" تعد من أهم المحطات في حياته، حيث اكتسب بها كمًّا من المعارف والمعلومات إضافة إلى خبرة حياتية بما اطلع عليه من تعدد في الفرق، وفي الانتماءات المختلفة فقهية وعقدية، وعلمية وسياسية، ومن أهم الذين درس عليهم ابن تومرت في بغداد "أبو حامد الغزالي"[٥٣]، فأثرت رحلة ابن تومرت هذه ولقاؤه للعلماء في تكوين شخصيته وفكره العقدي.

وحين عاد إلى قومه ترجم ما تعلمه في رحلاته وما تأثر به إلى أعمال، فقد "جاء بفكر حاول من خلاله الجمع بين ما هو متباين، ولكن اختار أهم المذاهب ذات الحجج القوية؛ ليبني بها مذهبا أراده توحيديا موحداً للفرق[٥٤]"، فادعى لنفسه المهدية، وأعلن ذلك بين الناس، وكوّن فكره العقدي الخاص به ودعا الناس إليه، فألف الكتب لشرح عقيدته للناس، فكان مما ألفه "العقيدة المرشدة"، ومن المهم ذكر إجابة شيخ الإسلام ابن تيمية حين سئل عن عقيدة "المرشدة" فقال: "أصل هذه: –أي عقيدة المرشدة– أنه وضعها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن التومرت الذي تلقّب بالمهدي، وكان قد ظهر في المغرب في أوائل المائة الخامسة من نحو مائتي سنة، وكان قد دخل إلى بلاد العراق وتعلم طرفا من العلم وكان فيه طرف من الزهد والعبادة، ولمّا رجع إلى المغرب صعد إلى جبال المغرب إلى قوم من البربر وغيرهم، جهال لا يعرفون من دين الإسلام إلا ما شاء الله، فعلمهم الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام، واستجاز أن يظهر لهم أنواعا من المخاريق ليدعوهم بها إلى الدين فصار يجيء إلى المقابر يدفن بها أقواما ويواطئهم على أن يكلموه إذا دعاهم، ويشهدوا له بما طلبه منهم، مثل أن يشهدوا له بأنه المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ الذي يواطئ اسمه اسمه، واسم أبيه اسم أبيه، وأنه الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، وأن من اتبعه أفلح ومن خالفه خسر ونحو ذلك من الكلام، فإذا اعتقد أولئك البربر أن الموتى يكلمونه ويشهدون له بذلك عظم اعتقادهم فيه وطاعتهم لأمره، ثم إن أولئك المقبورين يهدم عليهم القبور ليموتوا ولا يظهروا أمره، واعتقد أن دماء أولئك مباحة بدون هذا، وأنه يجوز له إظهار هذا الباطل ليقوم أولئك الجهال بنصره واتباعه، وقد ذكر عنه أهل المغرب وأهل المشرق الذين ذكروا أخباره من هذه الحكايات أنواعاً وهي مشهورة عند من يعرف حاله عنه.

ومن الحكايات التي يؤثرونها عنه أنه واطأ رجلا على إظهار الجنون وكان

ذلك عالما يحفظ القرآن والحديث والفقه، فظهر بصورة الجنون والناس لا يعرفونه إلا مجنونا، ثم أصبح ذات يوم وهو عاقل يقرأ القرآن والحديث والفقه وزعم أنه علم ذلك في المنام وعوفي مما كان به، وربما قيل: إنه ذكر لهم أن النبي ﷺ علمه ذلك فصاروا يحسنون الظن بذلك الشخص، وأنه كان لهم يوم يسمونه يوم الفرقان، فرق فيه بين أهل الجنة وأهل النار بزعمه، فصار كل من علموا أنه من أوليائهم جعلوه من أهل الجنة وعصموا دمه، ومن علموا أنه من أعدائهم جعلوه من أهل النار فاستحلوا دمه، واستحل دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا من أهل الكتاب والسنة على مذهب مالك وأهل المدينة يقرؤون القرآن والحديث كالصحيحين والموطأ وغير ذلك والفقه على مذهب أهل المدينة، فزعم أنهم مشبهة مجسمة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجسيم. واستحل أيضا أموالهم وغير ذلك من المحرمات بهذا التأويل ونحوه من جنس ما كانت تستحله الجهمية المعطلة – كالفلاسفة والمعتزلة وسائر نفاة الصفات – من أهل السنة والجماعة لما امتحنوا الناس في "خلافة المأمون"، وأظهروا القول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، ونفوا أن يكون لله علم أو قدرة أو كلام أو مشيئة أو شيء من الصفات القائمة بذاته، وكل من وافقهم على هذا التعطيل عصموا دمه وماله وولوه الولايات وأعطوه الرزق من بيت المال وقبلوا شهادته وافتدوه من الأسر، ومن لم يوافقهم على أن القرآن مخلوق وما يتبع ذلك من بدعهم قتلوه أو حبسوه أو ضربوه أو منعوه العطاء من بيت المال، ولم يولوه ولاية ولم يقبلوا له شهادة ولم يفدوه من الكفار، وكان أولئك الجهمية المعطلة قد بلغ من تبديلهم للدين أنهم كانوا يكتبون على ستور الكعبة: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، ولا يقولون: وهو السميع البصير، وأنهم كانوا يمتحنون الناس بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فإذا قالوا وهو "السميع البصير" أنكروا عليهم، ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فلا ينفون عن الله ما أثبته لنفسه، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، بل يعلمون أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات، والله –تعالى– بعث الرسل فوصفوه بإثبات مفصل ونفي مجمل، وأعداء الرسل الجهمية الفلاسفة ونحوهم وصفوه بنفي مفصل وإثبات مجمل. فإن الله –سبحانه وتعالى– أخبر في كتابه بأنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه حي قيوم، وأنه عزيز

حكيم، وأنه غفور رحيم، وأنه سميع بصير، وأنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين، وأنه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر، وأنه رضي عن المؤمنين ورضوا عنه، وأنه يغضب على الكفار ويلعنهم، وأنه إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وأنه كلم موسى تكليما، وأن القرآن نزل به الروح الأمين من الله على نبيه محمد ﷺ فمن قال: إن علم الله كعلمي، أو قدرته كقدرتي، أو كلامه مثل كلامي، أو إرادته ومحبته ورضاه وغضبه مثل إرادتي ومحبتي ورضائي وغضبي... ونحو ذلك، فهذا قد شبه الله ومثله بخلقه– تعالى الله عما يقولون–، وهو ضال خبيث مبطل بل كافر.

فالجهمية المعطلة نفاة الصفات من المتفلسفة والمعتزلة وغيرهم –الذين امتحنوا المسلمين كما تقدم– كانوا على هذا الضلال، فلما أظهر الله –تعالى– أهل السنة والجماعة ونصرهم بقي هذا النفي في نفوس كثير من أتباعهم، فصاروا يظهرون تارة مع الرافضة القرامطة الباطنية، وتارة مع الجهمية الاتحادية، وتارة يوافقونهم على أنه وجود مطلق ولا يزيدون على ذلك، وصاحب "المرشدة" كانت هذه عقيدته كما قد صرح بذلك في كتاب له كبير شرح فيه مذهبه في ذلك، ذكر فيه أن الله –تعالى– وجود مطلق كما يقول ذلك ابن سينا وابن سبعين وأمثالهم. ولهذا لم يذكر في "مرشدته" الاعتقاد الذي يذكره أئمة العلم والدين من أهل السنة والجماعة، أهل الحديث والفقه والتصوف والكلام وغيرهم من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم، كما يذكره أئمة الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية وأهل الكلام من الكلابية والأشعرية والكرامية وغيرهم، ومشايخ التصوف والزهد وعلماء أهل الحديث، فإن هؤلاء كلهم متفقون على أن الله –تعالى– حي عالم بعلم قادر بقدرة.

فصاحب "المرشدة" لم يذكر فيها شيئا من الإثبات الذي عليه طوائف أهل السنة والجماعة، ولا ذكر فيها الإيمان برسالة النبي ﷺ ولا باليوم الآخر، وما أخبر به النبي ﷺ من أمر الجنة والنار والبعث والحساب وفتنة القبر والحوض وشفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر، فإن هذه الأصول كلها متفق عليها بين أهل السنة والجماعة، ومن عادات علمائهم أنهم يذكرون ذلك في العقائد المختصرة، بل اقتصر فيها على ما يوافق أصله وهو القول بأن لله وجودا مطلقا، وهو قول المتفلسفة والجهمية والشيعة ونحوهم ممن اتفقت طوائف أهل السنة والجماعة أهل المذاهب الأربعة وغيرهم على إبطال قولهم وتضليله. فذكر فيها ما تقوله نفاة الصفات ولم يذكر فيها صفة واحدة لله –تعالى– ثبوتية، وزعم في أولها أنه قد وجب على كل مكلف أن يعلم ذلك، وقد اتفقت الأئمة على أن الواجب على المسلمين ما أوجبه الله ورسوله، وليس لأحد أن يوجب

على المسلمين ما لم يوجبه الله ورسوله، والكلام الذي ذكره بعضه قد ذكره الله ورسوله فيجب التصديق به، وبعضه لم يذكره الله ولا رسوله ولا أحد من السلف والأئمة فلا يجب على الناس أن يقولوا ما لم يوجب الله قوله عليهم، وقد يقول الرجل كلمة وتكون حقا لكن لا يجب على كل الناس أن يقولوها، وليس له أن يوجب على الناس أن يقولوها، فكيف إذا كانت الكلمة تتضمن باطلا؟ وما ذكره من النفي يتضمن حقا وباطلا، فالحق يجب اتباعه والباطل يجب اجتنابه..."[٥٥].

كما كان ابن تومرت يقوم بنفسه بشرح وتدريس ما ألفه للناس، وقد سار عبد المؤمن الذي تولى بعده وسار على خطاه في فرض عقيدته على الناس، فأصدر مرسوماً يأمر فيه عامة الناس بأن يشتغلوا بقراءة مؤلفات المهدي في العقيدة.

وقد أدت هذه السياسة في نشر مؤلفات المهدي وإشاعتها إلى أخذ طريقها بين عامة الناس، وجرت بها دروس العلماء وشروحهم في مختلف الآفاق المغربية، فكان ابن تومرت وأتباعه لأجل ذلك سبباً في انتشار العقيدة الأشعرية في البلاد المغربية[٥٦].

## المبحث الثالث

## أثر السلطة السياسية في ظهور المذهب الشيعي

من الأمور التي تلفت انتباه قارئ التاريخ الإسلامي أن ثمة عدد من الدول تبنت المذهب الشيعي على مر التاريخ ودعت إليه، وتعددت الأساليب في ذلك، فثمة حاكم يجبر شعبه على اعتقاد المذهب الشيعي، ومنهم من يغلو في ذلك فيستبيح دماء أهل السنة ويعلنهم نواصب كفار، كما أن منهم من يضيف للمذهب معتقدات جديدة ويصدر مرسوماً ينص على الالتزام بها. وكما أن أثر السلطة السياسية تبين جلياً في ظهور ما ذكر سابقاً من أقوال ومذاهب، فإنه يكون أكثر ظهوراً في الحديث عن مذهب التشيع؛ وذلك للأساليب التي استخدمها الحكام في ذلك من قتل وتعذيب أو إجبار مالم يستخدمه أحد من الحكام في المذاهب السابقة الذكر.

لم تكن هذه الدول جميعها متعاقبة، بل تظهر دولة في مكان ما من الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، وتقوم أخرى في مكان آخر، ويحدث كثيراً أن تكون ثمة دولتان في زمنٍ واحد يحكمان بالمذهب الشيعي، وليس الحديث هنا عن التعريف بهذه الدول أو حاكميها، أو زمن قيامها فقد ملئت المكتبة العربية بالمؤلفات التي تحدثت عن ذلك، إنما الحديث هنا عن أثر السلطة السياسية وتبني الحكام لهذا المعتقد في ظهوره وانتشاره. ومعلوم أن التشيع قد طرأت عليه تغييرات عظيمة منذ النصف الأخير من القرن الثالث الهجري، وذلك من تأثر بعضهم بالفلسفة الإغريقية، وأخذهم ببعض

العقائد المبنية على الرجعة والتناسخ، فأصبح التشيع خليطاً بين الدين والفلسفة[٥٧]، وقد نشر الحكام هذا المذهب باستخدام أساليب شتى، وفي بلدان متعددة، وحين كان من الصعوبة بمكان الحديث عن جميع الأساليب التي استخدمها الحكام لنشر التشيع مستغلين بذلك السلطة السياسية لهم، متبعين أساليب شتى في سبيل نشر المذهب الشيعي، فكان من أهم الأساليب التي أُستخدمت ما يلي:

١- **صبغ الحياة العامة بالصبغة الشيعية.** إن الدول ما أن تقوم حتى يُعلن القائمون عليها توجهها الفكري والعقدي والسياسي، فالمسلمون ما إن يفتحون دولة حتى ينشئوا فيها المساجد والجوامع، وكذلك الديانات الأخرى حين تقوم دولة لهم في مكان ما فإنهم يسارعون إلى بناء الكنائس والدير وغيرها... وكذلك حدث في الدول التي تبنى حكامها المذهب الشيعي، فللشيعة معتقدات باطلة تتعلق بآل البيت والإمامة وغيرها، فيسعون إلى فرض معتقداتهم ونشرها في المجتمع، ويلحظ قارئ التاريخ أن ثمة عددا من الدول ما أن اطمأنت إلى فرض سيطرتها على دولة ما، فإنها سرعان ما تقوم بعدد من الأعمال التي تتعلق بمعتقداتها الشيعية، ومن ذلك:

- حين سيطر البويهيون على الخلافة العباسية، وكانت الدولة في أضعف حالتها، منذ خلافة المستكفي بالله شرعوا في صك الدنانير وخطب الخطب باسمهم بأمر من الخليفة العباسي، وهذا يدل على الضعف الذي وصلت له الخلافة العباسية. قال ابن الجوزي: "جُعل أبو الحسن بن بويه أمير الأمراء وهو أول ملوك بني بويه، ولُقب أخوه الأكبر "علي" عماد الدين، وأخوه الأوسط أبو علي الحسن ركن الدولة، وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم"[٥٨]، ثم قال في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة: "وفي شهر ربيع الآخر كتب العامة على مساجد بغداد: لُعن معاوية بن أبي سفيان، ولُعن من اغتصب فاطمة فدكا، ومن أخرج العباس من الشورى، ومن نفا أبا ذر الغفاري، ومن منع دفن الحسن عند جده، ولم يمنع معز الدولة –بن بويه– من ذلك، وبلغه أن العامة –أي من أهل السنة– قد محوا هذا المكتوب، فأمر أن يكتب: "لعن الله الظالمين لآل رسول الله من الأولين والآخرين، والتصريح باسم معاوية في اللعن فكتب ذلك"[٥٩].

- سيطر عضد الدولة بن بويه على الخليفة الطائع لله، فكان الأمر كله للبويهيين، حتى إن الخليفة الطائع أمر بأن تضرب على بابه الدبادب وقت الصبح والمغرب والعشاء، وأن تخطب له على المنابر[٦٠]، قال أبو المحاسن: "وهذا أول ملك دقت الطبل خانة –أي فرقة الموسيقى السلطانية– على بابه"[٦١].

- عمل معز الدولة على إحياء المناسبات الشيعية والاحتفال بها على نحو لم يحدث من قبل، دون تبصر بما يمكن أن تنتجه من ثمار سيئة، فأمر في سنة ٣٥١هـ بالاحتفال باليوم العاشر من محرم، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسن بن علي[٦٢]، وفي ذلك يقول أبو المحاسن: "في يوم عاشوراء ألزم معز الدولة الناس بغلق الأسواق ومنع الطباخين من الطبخ، ونصبوا القباب على الأسواق وعلقوا عليها المُسُوح، وأخرجوا النساء منشورات الشعور يُقمن المأتم على الحسين بن علي. قلت: وهذا أول يوم وقع فيه هذه العادة القبيحة الشيعية ببغداد، وكان ذلك في صحيفة معز الدولة بن بويه، ثم اقتدى به من جاء بعده من بني بويه"[٦٣]. وقال ابن الأثير بعد أن ذكر هذا الحدث: (ولم يكن للسنة قدرة على المنع لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم)[٦٤]. كما أمر معز الدولة أيضاً بالاحتفال بعيد الغدير، يبين ابن الأثير ذلك بقوله: (وفيها –أي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة– في ثامن عشر ذي الحجة، أمر معز الدولة بإظهار الزينة في البلد، وأشعلت النيران بمجلس الشرطة، وأظهر الفرح، وفُتحت الأسواق بالليل كما يفعل ليالي الأعياد فعل ذلك فرحاً بعيد الغدير –أي غدير خم–، وضربت الدبادب والبوقات وكان يوماً مشهوداً)[٦٥].

- كما قد حدثت الأمور ذاتها أثناء حكم الفاطميين في مصر، فقد بعث أبو الحسن جوهر إلى مولاه المعز لدين الله رسالة ينبئه فيها بفتح مصر، ثم أمر بقطع الخطبة للعباسيين على كافة منابر مصر، وأن تضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي دون الخليفة العباسي، فضرب على أحد وجهيها "باسم مولاي المعز"، وذكر المقريزي أنه ذكر على أحد وجهيها "دعا الإمام معز بتوحيد الإله الصمد"، وفي السطر الثاني "المعز لدين الله أمير المؤمنين"، وفي السطر الثالث (باسم الله) ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة"، وضرب على الوجه الآخر "لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالحق ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين"[٦٦].

ولمّا كان السواد لباس العباسيين فقد استبدله الفاطميون باللون الأبيض، ولم يتفق المؤرخون على قولٍ واحد في سبب اتخاذ العباسيين السواد شعارا لهم، فحين يرى الماوردي في كتابه (الحاوي الكبير) في الفقه– "أنَّ النبيَّ ﷺ عقد لعمِّه العباس ﷺ في يوم حنين ويوم الفتح راية سوداء"، يرجع أبو هلال العسكري ذلك إلى: "أنَّ مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية حين أراد قتل إبراهيم بن محمد العباسي المعروف بالإمام –أول القائمين من بني العباس لطلب الخلافة– قال لشيعته: لا يوهلنكم قتلي، فإذا

تمكنتم من أمركم فاستخلفوا عليكم أبا العباس، يعني السفاح، فلمَّا قتله مروان لبس شيعته عليه السواد، فلزمهم ذلك وصار شعارًا لهم."[٦٧]

أما ابن خلدون فيقول: "إنَّ راياتهم كانت سودًا حزنًا على شهدائهم من بني هاشم، ونعيًا على بني أميَّة في قتلهم، ولذلك سموا المسوِّدة، ولمَّا افترق الهاشميِّون وخرج الطالبيُّون على العباسيِّين في كلِّ جهةٍ ومَصْرٍ ذهبوا إلى مخالفتهم في ذلك، فاتَّخذوا الرايات بيضًا وسموا المبيضة، ولمَّا نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولة عدل إلى لون الخضرة فجعل رايته خضراء[٦٨]". فكان اتخاذ الفاطميين البياض شعارا لهم من قبيل المخالفة للدولة العباسية، فأمر جوهر العامة بارتداء الملابس البيضاء، ونهى عن التكبير بعد صلاة الجمعة إذ كان هذا من عادة أهل السنة.[٦٩]

- ولم يختلف الحال في الدولة الصفوية عن باقي الدول في هذا الأمر، اللهم إلا أن إسماعيل الصفوي كان قد أعلن التشيع مذهباً رسمياً للبلاد، الأمر الذي لم يحدث من قبل في جميع الدول التي تبنت التشيع أو كانت تميل إليه، فكان يحدث هذا للمرة الأولى في تاريخ إيران وتاريخ العالم الإسلامي عموماً، فأحدث هذا اضطراباً كبيراً في المجتمع الإيراني، إذ كانت إيران سنية المذهب، وإن كانت العناصر الشيعية تتركز في بعض المناطق في إيران، إلا أن الغالبية كانت سنية المذهب[٧٠].

أجبر إسماعيل سكان تبريز على التشيع، واضطهد مخالفيه من أهل السنة، فكان يمتحنهم بطرق شتى، وضرب النقود باسمه وكتب عليها "لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله" ثم كتب اسمه، كما أقام الخطبة باسمه كدلالة على قيام الدولة الصفوية، علاوة على ذلك فقد أمر الخطباء والمؤذنين بإضافة تشهد الشيعة في الآذان "أشهد أن علياً ولي الله" "حي على خير العمل"، ولعن الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل، مع المبالغة في تقديس الأئمة الاثني عشر[٧١].

سعى إسماعيل بكل الوسائل لفرض المذهب الشيعي على المجتمع الإيراني، وصبغ الحياة الاجتماعية بالطابع الشيعي، فمن الوسائل التي استخدمها: وسيلة الدعاية والإقناع النفسي، فقد أمر بتنظيم الاحتفال بذكرى مقتل الحسين على النحو الذي يتبعه الشيعة في العصر الحاضر، وهذا الاحتفال بدأه البويهيون في بغداد –كما سبق ذكره– إلا أنه أهمل لفترة وتضاءل شأنه من بعدهم، فجاء إسماعيل الصفوي فطوره مضيفاً إليه مجالس العزاء، إذ يجعله ذلك قوي الأثر في القلوب[٧٢].

**٢– استغلال الجوامع والمساجد والعلماء لنشر المعتقدات الشيعية الباطلة:** للمسجد دور مهم وعظيم في الإسلام، فليست المساجد والجوامع أماكن للعبادة، وتأدية

الصلوات المفروضة فقط، بل إنها منارات لتعلم العلم، ومعرفة قواعد الشرع، إذ هي أول المؤسسات التي انطلق منها شعاع العلم والمعرفة في الإسلام[٧٣].

لأجل ذلك اتجهت أنظار السلاطين للمساجد والجوامع باعتبارها المكان الأول لتجمع المسلمين؛ وذلك لنشر المعتقدات الشيعية. كما رأى المُلوك والسلاطين أن للعلماء أيضاً تأثيرا كبيرا على عامة الناس، فاستقطبوا العلماء ليقيموا الدروس والمحاضرات في المذهب على عامة الناس، كما يعلوا من شأن الإمام وعظيم فعله في نصرة الدين، فكانت الخطب في الجوامع لا بد أن تحتوي على ذكر آل البيت بما يتوافق مع الرؤية الشيعية، كما تتضمن تمجيد الحاكم وتُشيد بأعماله لنصرة الدين، وجهاده ضد الكفار، أو حتى المخالفين له من أهل السنة، ويدرك قارئ التاريخ ذلك في بعض الدول التي تبنى حُكامها المذهب الشيعي، وذلك من خلال نماذج متعددة منها:

- حين حكم البويهيون في بغداد، أحضر الحاكم بأمر الله الخطيب يوم الجمعة الرابع من محرم سنة ٤٠١هـ وخلع عليه قباء، وعمامة صفراء، وسراويل وديباج أحمر، وخفين أحمرين، وقلده سيفاً، ثم أعطاه نسخة ما يخطب به، فكان أول الخطبة: "الحمد الذي انجلت بنوره غمرات الغضب، وانهدت بعظمته أركان النصب، وأطلع بقدرته شمس الحق من المغرب"، ومما ورد فيها: "اللهم وصلّ على وليك الأزهر، وصديقك الأكبر، علي بن أبي طالب، أبي الخلفاء الراشدين المهديين، اللهم وصلّ على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الأئمة الأبرار والصفوة الأخيار، ومن أقام وظهر، ومن خاف فاستتر... اللهم وصلّ على القائم بأمرك، والمنصور بنصرك، اللذين بذلا نفوسهما في رضاك، وجاهدا أعداءك، اللهم وصلّ على المعز لدينك، المجاهد في سبيلك، المظهر للآيات الخفية، والحجج الجليسة، اللهم وصلّ على العزيز بك الذي مهدت به البلاد، وهديت به العباد، اللهم واجعل نوامي صلوتك، وزواكي بركاتك على سيدنا ومولانا إمام الزمان، وحصن الإيمان، وصاحب الدعوة العلوية، والملة النبوية، عبدك ووليك المنصور الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الراشدين، وأكرمت أجداده المهديين، اللهم وفقنا لطاعته"[٧٤].

- وحين حكم الفاطميون مصر، حرصوا أن تقام الخطبة في الجوامع والمساجد باسمهم، وأن تتضمن على معتقدات الشيعة في الإمامة وآل البيت، فلما نزل جوهر الفاطمي في عسكر إلى الجامع العتيق لصلاة الجمعة خطب إمام الجامع، فقال: "اللهم صل على عبدك ووليك، ثمرة النبوة، وسليل العزة الهادية المهدية، عبد الله

الإمام معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الطاهرين وأسلافه الأئمة الراشدين، اللهم ارفع درجته، وأعل كلمته، وأوضح حجته، واجمع الأمة على طاعته والقلوب على مولاته، واجعل الرشاد في موافقته، وورثه مشارق الأرض ومغاربها، وأحمده مبادئ الأمور وعواقبها، فإنك تقول وقولك الحق: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾، فقد امتعض لدينك، ولما انتهك من حرمتك، ودرس من الجهاد في سبيلك، وانقطع عن الحج إلى بيتك، وزيارة قبر رسولك، فأعد للجهاد عدته، وأخذ لكل خطب أهبته، فسير الجيوش لنصرتك، وأنفق الأموال في طاعتك، وبذل المجهود في رضاك، فارتدع الجاهل وقصر المتطاول، وظهر الحق وزهق الباطل، فانصر اللهم جيوشه التي سيّرها، وسراياه التي ندبها لقتال المشركين وجهاد الملحدين والذب عن المسلمين، وعمارة الثغور والحرم، وإزالة الظلم وبسط العدل في الأمم، اللهم اجعل راياته عالية مشهورة، وعساكره غالبة منصورة، وأصلح به وعلى يديه، واجعل لنا منك واقية عليه"[٧٥].

ثم في يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة أمر جوهر بالزيادة عقب الخطبة: "اللهم صلّ على محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم صلّ على الأئمة الطاهرين، آباء أمير المؤمنين"، وفي الثامن عشر من ربيع الآخر خطب إمام جامع ابن طولون، فذكر أهل البيت وفضائلهم، ودعا للقائد، وجهر القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم، وقرأ سورتيّ الجمعة والمنافقين في الصلاة، ثم أذّن بحي على خير العمل –وهو أول من أذّن به في مصر، ثم أذّن به في سائر المساجد– وقَنَتَ الخطيب في صلاة الجمعة[٧٦].

- مكّن الحكام العلماء من التدريس في الجوامع والمساجد لنشر معتقدات المذهب الشيعي بكل الوسائل الممكنة آنذاك، في المقابل منعوا علماء السنة من التدريس ونشر العلم، والاجتماع بالطلبة، فكان من يأخذ عنهم ويتذاكر معهم إنما يكون سراً وعلى حال خوف وريبة، فكان الموطأ وغيره من كتب السنة لا تقرأ إلا في البيوت، فكانت السنة تعرض بالقيروان سراً، كما كان بعض العلماء يخرج إلى المقبرة فيستتر فيها ويقرأ على الطلبة، لخوفهم من العبيديين؛ إذ إنهم منعوا من بث العلم، وسجنوا العلماء في دورهم[٧٧].

- ولم يكن هذا الأمر ليقتصر على الدولة الفاطمية أو ما سبقها وإنما شمل أيضاً بقية الدول التي نشأت بعد ذلك، من هذه الدول الدولة الصفوية، فقد خلق الشاه إسماعيل

الصفوي طبقة جديدة يستعين بها في إقرار سياساته المذهبية وهي طبقة العلماء، الذين كان لهم أثر توجيه مستقبل إيران في فترة اضمحلال الدولة الصفوية[٧٨].

**٣- التضييق على أهل السنة من العامة والعلماء:** كان من أساليب الحكام والملوك في نشر المذهب الشيعي إضافة إلى ما ذكر التضييق على أهل السنة، ولعلّ هذا الأسلوب هو الأشهر في الدول التي تبنت المذهب الشيعي في التاريخ، فكان هذا الأسلوب مما اشتركت به هذه الدول جميعاً، ومعلومٌ ما لهذا الأسلوب من تأثير كبير على العامة، بل وحتى العلماء، إذ يتعرضون للتعذيب والسجن، فإما أن يعتنقوا المذهب الشيعي وإما أن يموتوا، فلا خيار ثالث كما حدث مثلاً في الدولة الصفوية، كما يحرم العلماء من تدريس الكتب والمناهج التابعة لأهل السنة، وليس هذا وحسب بل يُمنع أهل السنة من تقليد المناصب في الدول، وكانت حكراً على الشيعة فقط، كما يفسح المجال للمذهب الشيعي وعلمائه بالانتشار مستخدمين كل الطرق وجميع الوسائل.

ثمة نماذج متعددة ذكرها المؤرخون في كتبهم، منها:

**١- احتكار المناصب لأصحاب المذهب الشيعي:**

- شغل البويهيون في بغداد منصب أمير الأمراء، ثم حصلوا من الخلفاء توكيداً لسلطانهم على كثير من الألقاب حتى صاروا ملوكاً يتلقبون بلقب شاهنشاه أو ملك الملوك، ثم صار الحق في تولية الوزراء لهم دون غيرهم، وصار هؤلاء الوزراء ينتسبون إليهم[٧٩].

- وأما الفاطميون فبعد أن تمكنوا من مصر، أصبحت أكثر المناصب في أيدي المتشيعين، حتى إذا ما دخلت سنة ٣٦٣هـ كان من بين كبار الموظفين الذي شغلوا هذه المناصب في عهد المعز القائد جوهر، وكانت إليه إدارة الدواوين وجباية الخراج والإشراف على أمور الدولة[٨٠].

**٢- بعض النماذج على تعذيبهم لأهل السنة:** سلك الحكام طرقاً شتى-كما سبق بيانه- لنشر المذهب الشيعي، إلا أنهم لم ينالوا ما يرجونه من اضمحلال السنة، وانتشار التشيع، فكان الإجبار والتعذيب طريقاً آخر لهم يرغمون به أهل السنة على التشيع، كان إجبار أهل السنة على ترك مذهبهم وتعذيبهم منهجاً لأغلب الدول التي تبنى حكامها التشيع، إلا أن أشهر النماذج تتمثل في دولتين، وهما: الدولة الفاطمية، والدولة الصفوية.

فمما يذكره المؤرخون من النماذج فيهما ما يلي:

- في عهد الفاطميين كان الحاكم ينزل أشد العقوبات الصارمة على من يمتدح الخلفاء السنيين، كما كانت العقوبات سارية على من لا يلتزم بما يقره الحكام، فيذكر أن الخليفة المعز أصدر أمراً بإبطال صلاة التراويح، وما كاد أبو القاسم الواسطي يرفع صوته احتجاجاً على هذا القانون حتى قُبض عليه وأودعوه السجن، وكان من أثر رفع هذا الحادث إلى السلطات في القاهرة أن صدر أمر بقطع لسان أبى القاسم وضربه خمسمائة سوط وصلبه بعد ذلك.

- كما كان يجرم وتنزل به أشد العقوبات من وجد عنده كتاب من كتب السنة، ففي عهد الخليفة العزيز، ضرب رجل من أهل مصر وطيف به في المدينة؛ لأنهم وجدوا عنده كتاب الموطأ للإمام مالك[٨١].

- وفي القيروان أجبر الناس على الدخول في المذهب الشيعي، فمن أجاب تركوه، وربما ولوه المناصب، ومن رفض قتل، كما فعلوا عقب أول جمعة خطبها عبيد الله الشيعي، فدارات على أهل السنة في القيروان محن عظيمة، وقتل منهم عدة آلاف بسبب تمسكهم بإسلامهم ومنافحتهم عن السنة، قال القابسي: "إن الذين ماتوا في دار البحر (سجن العبيديين) بالمهدية من حين دخل عبيد الله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب، ما بين عالم وعابد ورجل صالح"[٨٢].

- كانت الفتوى بمذهب الإمام مالك جريمة يعاقب عليها الفقهاء، بالضرب أو السجن أو حتى القتل أحياناً، إضافة إلا أن العبيديين صادروا مصنفات أهل السنة وأمروا بإتلافها، ومُنعَ الناس من تداولها، من ذلك أن أبا محمد عبد الله بن أبي هاشم، توفي وترك سبعة قناطير كتب كلها بخط يده، فرفعت إلى سلطان بني عبيد فأخذها ومنع الناس منها كيداً للإسلام وأهل السنة[٨٣].

- كما حدث الأمر نفسه في الدولة الصفوية، فكان من سياسات الصفويين: الاضطهاد لأهل السنة، وهي أولى السياسات التي اتبعها إسماعيل الصفوي، فاضطهد أهل السنة في تبريز، وقتل منهم نحو عشرين ألفاً، كما لم يكتفِ بتعذيب الأحياء منهم، بل أمر بإخراج جثث رؤساء القبيلة التي كانت تحكم المنطقة، وكانوا من أهل السنة، وأمر بإحراقهم، يؤكد هذا الأمر المؤرخ خير الله أفندي، إذ يصف مذبحة تبريز بقوله: "لم يقنع الشاه بقتل أكثر من مائة ألف مسلم من النساء والأطفال انتقاماً لأجداده، فأعدم علماء سنة تبريز بطريقة وحشية، وأحرق جثثهم"[٨٤]. وقال الشوكاني: "قتل إسماعيل الصفوي زيادة على ألف ألف نفس، بحيث لا يعهد في الجاهلية ولا في الإسلام ولا في الأمم السابقة من قبل في قتل النفوس ما قتله إسماعيل، وقتل عدة من

أعاظم العلماء، بحيث لم يبق من أهل العلم أحد من بلاد العجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم"[٨٥].

ولا شك أن لهذا أثره على ظهور المذهب الشيعي وانتشاره، وذلك من ناحيتين:

١- الخوف الذي يصيب بعض العامة أو العلماء، فيحمل بعضهم مكرهاً على القول بالمذهب الشيعي.

٢- في مقابل الاضطهاد الذي تعرض له أهل السنة كان للشيعة المساحة الحرة في عقد الدروس والمحاضرات، ونشر الكتب وغير ذلك، مما يساعد في نشر المذهب، ليس في الدولة فحسب بل في جميع دول العالم.

**الخاتمة.**

تمت هذه الدراسة بعون الله وقد خرجت منها بعدة نتائج، منها:

- غالب الدراسات في الفرق والمذاهب تعنى بالتعريف بهما فقط، وتعرض عموماً إلى أسباب انتشارهما بشكل مجمل فقط، وتغفل في معظم الأحيان الأسباب المهمة في انتشارهما كالأثر السياسي.

- وجود الفرق والمذاهب لم يكن لوجود عامل سياسي، وإنما وجود العامل السياسي الذي يُمثل سلطة الحاكم كان له أثر في انتشارها في العالم الإسلامي.

- السمة الظاهرة في عصريّ النبوة والصحابة هي اجتماعهم على نهج واحد، وهو العمل بالكتاب والسنة، وعدم تفرقهم في مسائل أصول الدين.

- كان الخليفة المأمون أول من تبنى من الخلفاء قولا عقديا مخالفا لمنهج أهل السنة والجماعة، ولم يكن الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس إلا على مذهب السلف.

- تأثر المأمون بالبيئة الإعتزالية من حوله، مما حمله إظهار القول بخلق القرآن.

- سلك المأمون في امتحان العلماء بالقول بخلق القرآن طرقا شتى.

- الأثر السياسي في انتشار المذهب الأشعري تمثل في: بناء المدارس وتدريس العقيدة الأشعرية بها، كما تمثل في إقامة الدروس وتأليف الكتب.

- الأثر السياسي في انتشار المذهب الشيعي تمثل في عدة طرق من أهمها: التضييق على أهل السنة من العامة والعلماء والاقتصار في المناصب المهمة في الدولة على أصحاب المذهب الشيعي.

- إن كان لبعض الحُكام أثره في نشر بعض العقائد والمذاهب المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، إلا أنه من الجانب الآخر كان لهم دور كبير في نصرة الإسلام ومحاربة الصليبيين والكفار.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

**هوامش البحث:**

[١] التفسير السياسي للقضايا العقدية في الفكر العربي (ص٣٣)
[٢] انظر: المرجع السابق (ص٣٤)
[٣] فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها. (ص٤٧)
[٤] فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية والرد على الشبهات حوله. (ص١١١)
[٥] انظر: الفرق بين الفرق (ص٣٤)
[٦] مقالات الإسلاميين (ص٤٩)
[٧] واختلافهم هذا كان في أمر الخوارج خاصة كونها أول الفرق ظهوراً. انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، فصل الخوارج.
[٨] راجع: تاريخ الدولة العباسية لحسن قطامش.
[٩] انظر: البداية والنهاية (٣٤٦/١٠)
[١٠] البداية والنهاية (٢٨٧/١٠)
[١١] انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر (٢٨/٤)
[١٢] انظر: تاريخ الدولة العباسية (ص١٢٣)، الفرق بين الفرق (ص٤٠)
[١٣] انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل (٥/٣)
[١٤] انظر: شرح نهج البلاغة (ص٤٤٧)
[١٥] انظر: الكامل في التاريخ (١٢١/٦)
[١٦] انظر: مناقب الإمام أحمد (ص٤٤٦).
[١٧] وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان (٨١/١)
[١٨] البداية والنهاية (٣٣٣/١٠)
[١٩] انظر: سير أعلام النبلاء (ص٤٢٣٣)
[٢٠] انظر: مناقب الإمام أحمد (ص٤١٨)
[٢١] انظر: سير أعلام النبلاء (ص٤٢٣٤)
[٢٢] انظر: البداية والنهاية (٢٨٤/١٠)
[٢٣] انظر: الكامل في التاريخ (٣/٦)
[٢٤] مناقب الإمام أحمد (ص٤١٩)
[٢٥] وفيات الأعيان (٦٤/١)
[٢٦] انظر: البداية والنهاية (٣٤٦/١٠)
[٢٧] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ: " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء، ثم قال رسول الله ﷺ اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك" كتاب القدر: باب تصريف الله تعالى القلوب كما يشاء. حديث رقم ٤٩٢٧.
[٢٨] انظر: البداية والنهاية (٣١٨/١٠)
[٢٩] انظر: ولاة مصر (ص٢١٧)، موقف علماء مصر من المحنة في خلق القرآن (ص٢٢٢)
[٣٠] انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب أعلام مالك (٣٣٠/١)
[٣١] انظر: سير أعلام النبلاء (ص٤٠٣٦)
[٣٢] انظر: مدرسة الحديث في القيروان (ص٦٧).
[٣٣] انظر: تاريخ الدولة الأيوبية في مصر والشام (ص١٣)

[٣٤] انظر: المرجع السابق (ص١٥)
[٣٥] انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (ص٤٩٩)
[٣٦] المنتظم في تاريخ الملوك (٣٠٣/١٦)
[٣٧] انظر: وفيات الأعيان (١٢٨/٢)
[٣٨] المرجع السابق (١٢٩/٢)
[٣٩] راجع: نشأة المدارس المستقلة في الإسلام. ناجي معروف.
[٤٠] انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (ص٥٠٠)
[٤١] انظر: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني (ص١١٥)
[٤٢] الكامل في التاريخ (٥٦/١٠)
[٤٣] وفيات الأعيان (١٨٥/٥)
[٤٤] انظر: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني (ص٢١١)
[٤٥] انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (ص٥٠١)
[٤٦] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١٦٦/٤)
[٤٧] انظر: سير أعلام النبلاء (ص٤٢٦٢)
[٤٨] انظر: المواعظ والاعتبار (١٦٦/٤)
[٤٩] انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (ص٥٠٢)
[٥٠] انظر: وفيات الأعيان (٧٤/٥)
[٥١] سير أعلام النبلاء (ص٥٩٣)
[٥٢] انظر: المهدي بن تومرت آراؤه وحياته وثورته الفكرية (ص٤٤٢)
[٥٣] انظر: الخلفية العقدية للمهدي بن تومرت (ص٨)
[٥٤] المرجع السابق (ص١٩)
[٥٥] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٧٦/١١)
[٥٦] انظر: المهدي بن تومرت (ص٤٤٤)
[٥٧] انظر: الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية (ص١١٧)
[٥٨] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٤٢/١٤)
[٥٩] المرجع السابق (١٤٠/١٤)
[٦٠] انظر: الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين (ص٥٠)
[٦١] النجوم الزاهرة (١٨٨/٤)
[٦٢] الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين (ص٦٧)
[٦٣] النجوم الزاهرة (٣٣٤/٣)
[٦٤] الكامل في التاريخ (٢٧٩/٧)
[٦٥] المرجع السابق (٢٨٠/٧)
[٦٦] انظر: الفاطميون في مصر (ص١١٧)
[٦٧] الأوائل (٣٥٩/١)
[٦٨] تاريخ ابن خلدون (٣١٩/١)
[٦٩] انظر: الفاطميون في مصر (ص١٣٤)
[٧٠] انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (ص٥٤)
[٧١] انظر: تاريخ الدولة الصفوية في إيران (ص٥٥)

[٧٢] انظر: الصفوية؛ التاريخ والرواسب (ص٤٧)
[٧٣] انظر: الأثر التربوي للمسجد (ص٢)
[٧٤] انظر: الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين (ص٧٥)، النجوم الزاهرة (٢٧٧/٤)
[٧٥] اتعاظ الحنفاء (١١٤/١)
[٧٦] انظر: وفيات الأعيان (٣٨٠/١)
[٧٧] انظر: مدرسة الحديث في القيروان (٧٧/١)
[٧٨] انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (ص٩٢)
[٧٩] الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين (ص٨٤)
[٨٠] انظر: الفاطميون في مصر (ص١٨١)
[٨١] انظر: المرجع السابق (ص٢٤٥)
[٨٢] انظر: مدرسة الحديث في القيروان (٧٤/١)
[٨٣] انظر: المرجع السابق (٧٥/١)
[٨٤] روية الوثائق والمصادر التركية للصراع العثماني الصفوي (ص٣٥)
[٨٥] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢٧١/١)

## فهرس المصادر والمراجع:


- الأثر التربوي للمسجد، صالح بن غانم السدلان.
- الأوائل، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ
- البداية والنهاية، ابن كثير، دار الكتب العلمية.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب الإسلامي.
- تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر للنشر.
- تاريخ الدولة الأيوبية في مصر والشام، وفاء محمد علي، دار الفكر للنشر.
- تاريخ الدولة الصفوية في إيران، محمد سهيل طقوش، دار النفائس.
- تاريخ الدولة العباسية، حسن قطامش.
- التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني المشرق الاسلامي من القرن الخامس الهجري وحتى سقوط بغداد، عبد المجيد أبو الفتوح، دار الوفاء.
- تاريخ الصفويين وحضارتهم، بديع جمعة، أحمد الخولي.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب أعلام مالك، القاضي عياض، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- التفسير السياسي للقضايا العقدية في الفكر العربي المعاصر، سلطان العميري، مركز تأصيل للدراسات والبحوث.
- الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، وفاء محمد علي، المكتب الجامعي الحديث للنشر.
- روية الوثائق والمصادر التركية للصراع العثماني الصفوي، رسالة ماجستير في الآداب من قسم اللغة التركية، مقدمة من توفيق حسن فوزي، جامعة عين شمس، كلية الآداب.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية.
- شرح نهج البلاغة، أحمد فاضل، مؤسسة علوم نهج البلاغة للنشر.
- الصفوية؛ التاريخ والرواسب، مجموعة من الباحثين، مركز المسبار للدراسات.

- الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية، حسن إبراهيم حسن، المطبعة الأميرية في القاهرة.
- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب العواجي، الدار العصرية.
- فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية والرد على الشبهات حوله، عبد الله الدميجي، مركز البيان للبحوث والدراسات.
- الكامل في التاريخ، علي بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية.
- مجموع الفتاوى، أحمد عبد الحليم ابن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية.
- مدرسة الحديث في القيروان، الحين بن محمد شواط، الدار العالمية للكتاب الإسلامي.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبي الحسن علي المسعودي، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبي الحسن عبد الجبار، تحقيق: محمد علي النجار، عبد الحليم النجار.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز.
- مناقب الإمام أحمد، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للنشر.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية.
- المهدي بن تومرت آراؤه وحياته وثورته الفكرية، عبد المجيد النجار، رسالة دكتوراه قدمت لجامعة الأزهر.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين أبي العباس المقريزي، دار صادر للنشر.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد.
- موقف علماء مصر من المحنة في خلق القرآن، رائد حمود الحصونة، بحث علمي منشور في مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة ذي قار.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي أبو المحاسن، وزارة الثقافة للنشر– مصر.
- نشأة المدارس المستقلة في الإسلام. ناجي معروف، مطبعة الأزهر.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، دار صادر.
- ولاة مصر، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، تحقيق: حسين نصار، دار صادر.